بسم الله الرحمن الرحيم

١٠٠ — سورة العاديات

مكية أو مدنية . وآيها إحدى عشرة .

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١] (وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا)

[٢] (فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا)

[٣] (فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا)

[٤] (فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا)

[٥] (فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا)

« وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحاً » إقسام بخيل الغزاة التى تعدو نحو العدوّ ، فتضبح . و(الضبح) صوت أنفاسها إذا عَدَتْ . وليس المراد بالصوت الصهيل . بل قولها (اح . اح) كما قاله ابن عباس . ونصب (ضَبْحاً) إما بفعله المحذوف ، أو بالعاديات لإفادته معناه ، أو بالحالية « فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحاً » أى تورى النار بحوافرها . والقدح هو الضرب لإخراج النار ، والإيراء يترتب عليه . لأنه إخراج النار وإيقادها . فإيراؤها ما يرى من صدم حوافرها للحجارة . وتسمى نار الحباحب . ولما كان مرتباً على عَدْوها ، عطفه بالفاء . وكون المراد به الحرب ـ بعيد . وفى إعرابه الوجوه السابقة .

« فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحاً » أى تغير على العدوّ فى وقته . يقال (أغار على العدوّ) إذا هجم عليه ليقتله أو يأسره أو يستلب ماله .

قال الإمام: وهو وصف عرض للخيل من الغاية التى أجريت لها . أى أنها تعدو ويشتد عدوها حتى يخرج الشرر من حوافرها ، لتهجم على عدوّ وقت الصباح ، وهو وقت المفاجأة لأخذ العدو على غير أهبة « فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعاً » أى فأهجن ، بذلك الوقت ، غباراً من الإثارة . وهى

التهييج وتحريك الغبار ونحوه ليرتفع. والنقع: الغبار كما ذكرنا، وورد بمعنى الصياح . فجوّز إرادته هنا بمعنى صياح من هجم عليه ، وأوقع به . لا صياح المغير المحارب ، وإن جاز على بُعْدٍ فيه . أى هيجن الصياح بالإغارة على العدوّ، وضمير (به) للوقت والباء ظرفية. وفيه احتمالات أخر . ككونه للعدو أو للإغارة ، لتأويلها بالجرى. فالباء سببية أو للملابسة. ويجوز كونها ظرفية أيضا . والضمير للمكان الدال عليه السياق، للعلم بأن الغبار لا يثار إلا من موضع . وهو الذى اختاره ابن جرير .

قال الشهاب : وذكر إثارة الغبار ، للإشارة إلى شدة العَدْوِ وكثرة الكرّ والفرّ . وتخصيص الصبح ، لأن الغارة كانت معتادة فيه . أى لمباغتة العدوّ . والغبار إنما يظهر نهاراً و (أثرن) معطوف على ما قبله .

قال الناصر : وحكمة الإتيان بالفعل معطوفاً على الاسم ، الذى هو العاديات أو مابعده ، لأنها أسماء فاعلين تعطى معنى الفعل . وحكمة مجىء هذا المعطوف فعلا عن اسم فاعل ، تصوير هذه الأفعال فى النفس . فإن التصوير يحصل بإيراد الفعل بعد الاسم لما بينهما من التخالف . وهو أبلغ من التصوير بالأسماء المتناسقة . وكذلك التصوير بالمضارع بعد الماضى .

وقوله تعالى « فَوَسَطْنَ بِهِ ے جَمْعاً» أى فتوسطن ودخلن فى وسط جمع من الأعداء، ففرقنه وشتتنه . يقال : (وسطت القوم) بالتخفيف و(وسطته) بالتشديد و (توسطته) بمعنى واحد . وفى الضمير الوجوه المتقدمة .

قال الإمام رحمه الله : أقسم تعالى بالخيل متصفة بصفاتها التى ذكرها، آتية بالأعمال التى سردها لينوه بشأنها ويعلى من قدرها فى نفوس المؤمنين أهل العمل والجد . ليعنوا بقنيتها وتدريبها على الكر والفر ، وليحملهم أنفسهم على العناية بالفروسية والتدرب على ركوب الخيل ، والإغارة بها . ليكون كل واحد منهم مستعداً فى أى وقت كان ، لأن يكون جزءاً من قوة الأمة إذا اضطرت إلى صدّ عدو ، أو بعثها باعث على كسر شوكته . وكان فى هذه

الآيات القارعات ، وفى تخصيص الخيل بالذكر فى قوله[1] (وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ) وفيما ورد من الأحاديث التى لا تكاد تحصر ـ ما يحمل كل فرد من رجال المسلمين على أن يكون فى مقدمة فرسان الأرض مهارة فى ركوب الخيل . ويبعث القادرين منهم على قنية الخيل على التنافس فى عقائلها . وأن يكون فن السباق عندهم يسبق بقية الفنون إتقاناً . أفليس من أعجب العجب أن ترى أمما ، هذا كتابها ، قد أهملت شأن الخيل والفروسية ، إلى أن صار يشار إلى راكبها بينهم بالهزؤ والسخرية ؟ وأخذت كرام الخيل تهجر بلادهم إلى بلاد أخرى .

ثم قال : يقسم الله بالخيل صاحبة تلك الصفات التى رفع ذكرها ، ليؤكد الخبر الذى جاء فى قوله :

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٦] (إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ)

[٧] (وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ)

[٨] (وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ)

« إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ » أى لكفور . يكفر نعمه ولا يشكرها . أى لا يستعملها فيما ينبغى ليتوصل بها إليه .

قال المهايمى : أى لكفور ، فيوجب قتاله بهذه الخيول وقهره بهذا الغضب . وعن أبى أمامة : الكنود الذى يأكل وحده ، ويضرب عبده ، ويمنع رفده « وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ » أى وإن الإنسان على كنوده ، لشهيد يشهد على نفسه به ، لظهور أثره عليه . فالشهادة مستعارة لظهور آثار كفرانه وعصيانه بلسان حاله .

(١) [٨ / الأنفال / ٦٠] .

قال القاشانىّ : لشهادة عقله ونور فطرته إنه لايقوم بحقوق نعم الله ، ويقصر فى جنب الله بكفرانه « وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ » أى وإنه لحب المال والدنيا وإيثارها ، لقوىّ . ولحب تقوى الله وشكر نعمته ضعيف متقاعس وإنه لحب الخير الموصل إلى الحق ، شديد منقبض ، غير هش منبسط . أو اللام للتعليل . أى إنه لأجل حب المال بخيل . فلذلك يحتجب به غارزاً رأسه فى تحصيله وحفظه وجمعه ومنعه ، مشغولاً به عن الحق ، معرضاً به عن جنابه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٩] (أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ)

[١٠] (وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ)

[١١] (إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ)

« أَفَلَا يَعْلَمُ » أى أبعد هذا الاحتجاب ومخالفة العقل ، لايعلم بنور فطرته وقوة عقله « إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ » أى بعث وأثير ما فى القبور وإخراج موتاها « وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ » أى أظهر وأبرز ما فى صدورهم ونفوسهم من أسرارهم ونياتهم المكتومة فيها ، من خير أو شر « إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ » أى عالم بأسرارهم وضمائرهم وأعمالهم . فيجازيهم على حسبها يومئذ . وتقديم الظرف ، إما لمكان نظم السجع ورعاية الفواصل ، أو للتخصيص لوقوع علمه تعالى كناية عن مجازاته . وهى إنما تكون يومئذ .

قال الرازىّ : وإنما خص أعمال القلوب بالتحصيل دون أعمال الجوارح ، لأن أعمال الجوارح تابعة لأعمال القلوب . فإنه لولا البواعث والإرادات فى القلوب ، لما حصلت أفعال الجوارح . ولذلك جعلها تعالى الأصل فى الذم فقال[1] (ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ) والأصل فى المدح فقال[2] (وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ) .

(١) [٢ / البقرة / ٢٨٣] . (٢) [٨ / الأنفال / ٢] و [٢٢ / الحج / ٣٥] .